وصف من اتبع الهوي

* لقد ذم اللهِ تعالى فِي كتابه العِزيز من ِيتبعِ الهوى وعابهم على ذلك الاتباع. يقول الله -تعالى- { وَكَأَيِّنْ ِمِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَجْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَّاصِرَ لَهُمْ أَفَمَنْ كَانَ عَلِّي بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ } [محمد: 13، 14]. فالقرية التي اخرجته هِي مكة . * ٍويخبر -سبحانه وتعالى- بان هناك قرى قد اهلكهم الله لما كذبوا، ويخبر بالسبب، وهو انهم زين لهم سوء أعمالهم، واتبعوا أهواءهم؛ فأعمِالهم السيئة هِي: الكفر، والكذب والتكذيب بالرسل، ورٍد ما جاءوا به، وكل ذلك فيه اتباع للأهواء. وقد ِزين للبعض سوء عمله، واتبعوا أهواءهم، وقد أخبر الله -تعالى- بذم مثل هذا بقوله: { أَفَمَنْ زُبِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاّءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ } [فاطر: 8]. * فالذين يتبعونَ الهَوَى، لا شَك أنهم قد استحسنوا العمل السيئ، واتبعوه، واستقبحوا الصالحات وتركوهاً، فصار الحسن عندهم قبيحا، والقبيح عندهم حسنا؛ فكانوا لذلك هالكين. * ولا بد أن زينت لهم الأعمال السيئة، فراوها حسنة، واتبعوا في ذلك أِهواءٍهم. * وقد أُخبر الله -تعالي- بأِنهِم لا يستوون مع غيرهِم، بِقول -تعالى - { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَنَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوثُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبَهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } [محمد: 16]. * فذمَ الله الذين اتبعوا أهواءهم في هذه الآية؛ لأنهم لا يستفيدون مما يسمعون، ولا يتأثرون بمَوعظة، ولا يعون أو يعقلون ما ٍيرشدون به. * وذكر -تِعالي- أنهـم يستمعون القرآن الذي هو غاية في الإعجاز والبلاغة والبيان، ولكن يُحال بينهم وبين فهمه وعقله؛ فكأنهم لا يسمعون أصلا، أو كأنهم قد حِيلَ بينهم وبين سماعه، فإذٍا خرجوا بعد سماعه يقولون لمن اوتي العلم: { مَاذَا قَالَ آنِفًا } [محمد: 16]. كأنهم ما سمعوا. * ما الذي حالِ بينهم وبين الفهم مع أن الكلام فصيح؟! ومع كونهم عربا ويفهمون ويعقلون؟ * إن الذي حال بينهم وبين ذلك ما ذكره الله عنهم أنهم اتبعوا أهواءهم؛ لأن الله -تعالي- طبع علي قلوبهم، وطمس علي معرفتهم حيث اتبعوا أهواءهم، فلم يستفيدوا. فإذا رأيت الذين يهربون من مجالس الذكر فقل: إنهم اتبعوا أهواءهم. * وإذا رأيت الذي يستمعون ولكن لا يستفيدون، فقل: هؤلاء من الذين اتبعوا أهواءهم، بل من الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم؛ حيث طمست معرفتهم الَّتي وهبت لهم، فكانوا بذلك مثل ما ذكر الله عن المنافقين: { صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِغُوْنَ } [البقرة: 18]. معلوم أن لهم أسماع، ولكن لا ينفعهم ما يسِمعون، ولهم أبصار، ولكن لا ينفعهم ما يقرءون أو ينظرون، وِلهمِ عقول، ولكن لا ينفعهمِ ما يتِعقلونِ. * هؤلاء هم نصيب النار الذين أعدهم الله لها، كما ذِكرهم في قولةٍ -تعالى ۚ ۚ ۚ ۚ وَلَقَدْ ذَرَاْتَا لِجَهَنَّةً كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانُ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلَّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف: 179]. * فهذا وصف الذين اتبعوا أهواءهم، يستمعون ولا يفهمون، يقرءون ولا يعتبرون، يعقلون ولا يتاملون، لم تنفعهم قلوبهم، وكذلك ابصارهم وأسماعهم، لم يستفيدوا بها. * يقول بعض المتأخرين في وصف من اتبعوا الهوى: "صمٌّ وِلو سمعوا، بكم ولو نطقوا، عمي ولو نظروا..."!! عموا عن الحق، صُمواً عن تدَبره! ولكنَ ما الذَي أعماهَم؟! الَهوى! ما الذي أَصَمَّهم؟! الهوى! * ُورد في بعضُ الآثار: "الهوى يعمي ويصم"؛ لما أنهم صار هواهم مخالفاً لما جاء به الشرع.. أصم آذانهم، وأعمى أبصارهم، وأصبحِوا كأنهم لا يستفيدون من جهاسهم التي منحهم الله إياها. * وقد وصف الله الكافرين بقوله: { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَل الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [البقرة: 171]. * يقول المفسرون: إن الله ضرب هذا المثل للكفار الذين حيل بينهم وبين َفهم الحق، واتبعوا شهواتهم وميلهم، فضرب لهم مثلا بمن ينادي بهائم، كغنم ونحوها؛ فالنعيق هو نداء الغنم، والأغنام لا تدري ما تقول، ولكنها تسمع الصوت فتتبع ذلك الصوت. * وهذا مثل العصاة والطغاة، الذين يُدعون إلى الحق فلا يقبلونه، ولا يتقبلونه! كذلك يُدعون إلى الإيمان فيكفرون! * يُبين لهم الحق فلا يقبلونه، ولا يرضون بموعظة، ولا يقبلون إرشادا، ولا يتأثرون بتذكير، حال بينهم وبين ذلك كله اتباع أِهواءهم، بسبب ميلهم إلِي الشهوات والمحرمات. * ولقد ذكر اللهِ -تعالى- أن الهوى من جملة المعبودات التي تُعبد، قال -تعالى- { أَفَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلُّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْم وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ } [الجاثية: 23]. * أول أعماله أنه اتخذ إلهه هواه؛ فهو لا يهوِّي شيئا إلا ركبه، كلما منته نفسه بشيء لم يفكر هل هو خير أم شر؟ هل هو طاعة أم معصية؟ بل يقدم عليه ويقتحمه، ولو كان ذنبا كبيرا أو صغيرا. * ومثل هذا قد ضل وهو على علم ومعرفة ولكنه لم يقبل الخير؛ فأصبح من الضالين، بحيث أنه لا يقبل الإرشاد، ولا يقبل التذكير، ٍبل إذا سمعه إبتعد عنه، وعن إلطرق إلتي توصل الخير إلى قلبه. * وقد وصفه الله في اية اخرى بقوله -تعالى- { وَإِذَا تُثْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أَذُنَيْهِ وَقْرًا } [لقمان:7]. ما الذي حمله على ذلكِ؟! * إذا سمِع القرآن والمُّواعظاً، وإذا َ مر بأهلَ مسجد أُو مدرسة لا يتركه هواه بأن يجلس عندهم، بل يصد ويعرض؛ ويكاد أن يصم أذنيه مخافة أن يدخل عِليه شيء يفسد عليه ميله وشهوته وهواه، { كَأَنَّ فِي أُذُنيْهِ وَقُرًا } أي: ثقلا، لا يستفيد، ولا يسمع ما يفيده. * هذا وصف الذين يتبعون أهواءهم، ومن جملتهم المشٍركون الذين ِصدهم الهوى عِن قِبول رسالِة ِالنبي -صلى الله عليه وسلم- لِذلك أعرضواً عنه، كما ً ذكر الله -تعالى- عنهم: { فَاعْرَضَ أَكَثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إليْهِ وَفِي اذَانِنَا وَقْرُ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ } [فصلت: 4، 5]. انظر كيف وصفوا أنفسهم بهذه الأوصاف، اعترافا منهم!! * لقد صدهم الهوي عما يدعوهم إليه الِنبي -صَلي الله عليهِ وسلم- فكأن قلوبهم في أغطية لا يصل إليها الخير، ولا تتقبل الدعوة. { وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } [الأنعام: 25] اعترفوا بأنهم لا يسمعون، وكأن فِي آذانهم وقرا، ومن بيننا وبينك حجاب، يعني حاجز منيع يحجز كِلامك عنا، ولا نَنتفع به. * وهذا كما وقع في الأولين فإنه يقع في المتأخرين. فالذين ابتعدوا عن الخير وأهله هم الذين اتبِعوا ما تهواه أنفسِهم وما تميل إليه، والذين يميلون ٍإلى الظن واتباع الهوى أقوالهم وأفعالِهم ناتِجة عِن ذلك. * يقول -تعالى- { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأَنْتَيِي وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ ۚعِلْمْ ۚ إِنْ يَتَّبِغُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَبْئًا ۚ ۚ ۚ [النجَمْ: 22ٕ، َ28] ۖ * وهَكَذَا ذُكرهِمْ في قَوِله -تعالِيْ- ۖ ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأَثْثَىَّ تِلْكَ إِذًا قِسَّمَةٌ ضِيرَيَ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى } الَّنجم: 21-23 * فالظن واتباعهم ما تهوى الأنفسِ هو الذي أوَّقعَهم في الكَفر والمعاصي.. وِهِذا نتيجة اِتباع الهوى. * وِلإِجل ذَلِك ذكرِ الله -تِعالى- أن الهوى معبود في موضعين من القران في سِورِة الفرقانِ في قوله -تعالِي- ٍ { ارَإِيْتَ مَن ابِّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ افَانْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا } الفرقان: 43 وفي سورة الجاثية قوله -تعالى- { افَرَايْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَاضَلَهُ اللَّهُ عَلَى َعِلْم وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ } الجاثية: 23 * ففي هَذين الموضعين ذكر الله -تعالى- أن الهِّوي إله، وتأليهه معناه تقديس القلوب وتعظيمها له. وقد ذكرنا أن العلماء فسروا ذلك بأنه لا يهوي شيئا إلا ركبه، وأنه ورد في الأثر: "ما تحت أديم السماء إله يُعبد أشد من هوي مُتبع". * فاتباع الهوي، والميل النفسي هو الذي يؤدي إلى ما نراه كثيرا مما هو واقِع من كثير من الناس في هذه الأزمنة! * فالذين يصدون عن الخير وعن مَجالِسه اتبعوا أهواءهم، والذين يبغضون الجلساء الصالحين، ويالفون جلساءِ الشر والفسقة والعصاة.. هؤلاء ممن اتبعوا أهواءهم واتبعوا الشهوات.. * وهِم في هذا لا ينظرون إلى تلك الشهوات من حيث تحريمها أو إباحتها، فجرتهم تلك الشهوات إلى الحرام؛ ولا شك أن ذلك نتيجة اتباعهم أهوائهم، ولو كان شرا.